«إنَّ الإسلام بَدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بَدأ؛ فطوبى للغرباء، قيل: ومَن الغرباء؟ قال: النُّزَّاع مِن القبائل»

مجلة النزاع

العدد ٨

ذو الحجة ١٤٤٥ هـ

كلمة شهرية

وليـــال عشـــر

إلى أبناء الدولة (٣)

صور من الامتثال عند الجيل الأول

نماذج من النساء العالمات (٤)

خير أم لخير أمة

التقويم الهجري فـــي الـداخل

سراج الطريق

مجلة شهرية تصدر عن سراج الطريق

www.seiraj.com

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

للنشر في المجلة

الرجاء مراعاة الشروط التالية:

١. الموافَقة في المعتقد المبسوط في كتاب الهداية.

٢. ألا يكون المقال منشورًا من قبل.

٣. تحرير عنوان المقال مع اسم الكاتب أو كنيته.

٤. الالتزام بالفصحى وقواعد اللغة، وخلو المقال من الأخطاء.

٥. ذكر المصادر والمراجع في ذات المقال وليس في الهامش.

٦. ألا يتجاوز المقال ٤ صفحات.

٧. إرسال المقال في النصف الأول من الشهر الهجري الجاري.

ترسَل المقالات عبر البوت أدناه في تيليجرام

seirajultareeq_bot

١٤٤٥ هـ

ذو الحجة

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨
٢٩ ترائي						

www.seiraj.com

أي الأعمال أفضل؟

عن أبي هريرة، قال: سُئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور.

صحيح البخاري: ١٥١٩

عمرة في رمضان تقضي حجة

عن عبد الله بن عباس، قال: لمّا رجع النبي ﷺ من حجته، قال لأم سنان الأنصارية: ما منعك من الحج؟ قالت: أبو فلان -تعني زوجها- كان له ناضحان، حج على أحدهما، والآخر يسقي أرضًا لنا. قال: فإن عمرة في رمضان تقضي حجة -أو حجة معي-.

صحيح البخاري: ١٨٦٣

فلا يأخذَنّ شعرًا ولا يقلمَنّ ظفرًا

عن أم سلمة، أن النبي ﷺ قال: إذا دخل العشر، وعنده أضحية يريد أن يضحي، فلا يأخذَنّ شعرًا، ولا يقلمَنّ ظفرًا.

صحيح مسلم: ١٩٧٧

ما أراد هؤلاء؟

عن عائشة، أن النبي ﷺ قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟

صحيح مسلم: ١٣٤٨

صوم يوم الفطر والنحر

عن أبي سعيد الخدري، قال: نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر والنحر، وعن الصَّمَّاء، وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد، وعن صلاة بعد الصبح والعصر.

صحيح البخاري: ١٩٩١

ثم يخطب بعد الصلاة

عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ كان يصلي في الأضحى والفطر، ثم يخطب بعد الصلاة.

صحيح البخاري: ٩٥٧

أملحين أقرنين

عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين أقرنين، ويضع رجله على صفحتهما ويذبحهما بيده.

صحيح البخاري: ٥٥٦٤

إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا

عن عائشة بنت أبي بكر، قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟! وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا.

صحيح البخاري: ٩٥٢

وليالٍ عشر

محمد بن سعيد الأندلسي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد:

إخواني في الله، أخواتي في الله:

نحن في أفضل أيام الدنيا على الإطلاق؛ فلا يوجد في الأيام مثلها ولا مثيلها، فيا عبد الله، كل ما توفَّق إليه من الأعمال الصالحات في هٰذه الأيام، فلا تتوانى في فعله والاجتهاد في ذٰلك ما استطعتَ إلى ذٰلك سبيلًا، ولا توفِّر من الخير شيئًا يا عبد الله، من أذكار وأدعية، وتلاوة للقرآن، وصِلة رحم، وبرّ للوالدين، وكذا صدقات على اختلاف أنواعها، وكذٰلك عناية بالفرائض وأدائها وإتمامها، وقيام الليل، وصلاة الضحى، والرواتب والنوافل، وكذا انتظار الصلاة إلى الصلاة، وختم القرآن في هٰذه العَشر المباركات مع التدبّر والتفكّر في آيات الله جلّ وعلا، ويُشرع كذٰلك صيامها، ويُشرع الذكْر فيها؛ فهو من أفضل الأعمال فيها، وكذٰلك نشر العلم والدعوة إلى الإسلام، وكذٰلك العناية بالموعظة الحسنة والرقائق لِمَا فيها من نفع عظيم على القلوب... فهي خير أيام الدنيا، فقد أقسم الله جلّ وعلا بها، كما في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]، روي عن قتادة، قال: «كنّا نحدّث أنها عَشر الأضحى» [الطبري ٣٩٦/٢٤]، كذٰلك في قوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]، قال الضحّاك: «يوم عرفة ويوم النحر، وأقسَم الله بها على سائر العَشر» [فضل عشر ذي الحجة للطبراني]، وكذا في قوله جلّ وعلا: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، روي عن الحسن، قال: «الأيام المعلومات: هي عَشر ذي الحجة، والمعدودات: أيام التشريق» [تفسير ابن كثير ٢١٦/٣]، وكذٰلك روي عن عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير مثله. وروى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أَحَبّ إليه من العمل فيهنّ من هٰذه الأيام العَشر، فأكثِروا فيهنّ من التهليل والتكبير والتحميد» [أحمد ٥٤٤٦]، كذٰلك روي من حديث عبد الله بن عمر، قال: «حضرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذُكر عنده أيام العَشر، فقال: ما من أيام أَحَبّ إلى الله عزّ وجلّ العمل فيه من ذي الحجة. فقيل يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ فأكبره. قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، فكان مُهجته فيه» [مسند الطيالسي ٢٣٩٧]. وفي هٰذه الأيام، يوم عرفة وهو أفضل هٰذه الأيام، روى الإمام مالك في الموطأ عن طلحة بن

عبيد الله، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ما رُئي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيَظ منه يوم عرفة، وما ذٰلك إلا لِمَا يَرىٰ من تنزّل الرحمة وتَجاوُز الله عن الذنوب العظام، إلا ما كان من يوم بدر. فقيل: وما رأى يوم بدر؟ قال: أما أنه قد رأى جبريل عليه السلام وهو يَزَعُ الملائكة» [الموطأ ٤٢٢/١]، وروي كذٰلك في الباب في فضل صيام يوم عرفة، عن أبي قتادة، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «صيام يوم عرفة يكفّر هٰذه السنة والسنة التي تليها، وصيام يوم عاشوراء يكفّر سنة» [تاريخ ابن أبي خيثمة ٥٢٣١]، قال سفيان: «قال داود: وكان عطاء لا يصومه حتى بلغه هٰذا الحديث» [مسند الحميدي ٤٣٣]. واعلم يا رعاك الله، أنّ العمل الصالح في هٰذه الأيام جزيلٌ أجره، عظيمٌ أثره على الثبات في أيام الصبر... أيام الصبر التي نُكابدها في هٰذا الزمان، فالعمل الصالح هو الملاذ، والعاصم من الفتن، وبه النجاة من المحن والملمّات، كما روي عن عبد الله بن مسعود، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إنّ من ورائِكم أيام الصبر، الصبر فيهنّ كقبضٍ على الجَمر، لِلعامل فيها أجر خمسين. قالوا: يا رسول الله، خمسين منهم أو خمسين منّا؟ قال: خمسين منكم» [مجمع الزوائد ٢٨٥/٧]. وإنّ الفضل يَعظم، والأجر يزيد في الأيام الفاضلات والمواسم الزكيّات، ومن أنفسها هٰذه العَشر من ذي الحجة، وقد اجتمع في فضل العمل الصالح في هٰذا العَشر في هٰذا الزمان موجِبات تَزيد المسلم همّة على التفرّغ لعبادة الله جلّ وعلا فيها، منها ما روي عن النعمان بن مقرن رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «العبادة في الهرَج والفتنة كالهجرة إلي» [الفتن لنعيم بن حماد ٣١٠٠١]، يقول ابن الجوزي: «الهرج: القتال والاختلاط. وإذا عمّت الفتن اشتغلت القلوب، وإذا تعبَّد حينئذ متعبِّد، دلّ على قوة اشتغال قلبه بالله عزّ وجلّ، فيكثُر أجره» [كشف المشكل].

فالله الله إخواني في الاجتهاد في الأعمال في هٰذه الأيام، ونسأل الله جلّ وعلا أن يوفّقنا وإياكم للعمل الصالح والتوبة النصوح.

ومن كان لم يذبح فليذبح باسم الله

عن جندب بن عبد الله: شهدتُ الأضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يَعْدُ أن صلّى وفرغ من صلاته سلّم، فإذا هو يرى لحم أضاحي قد ذُبحت قبل أن يفرغ من صلاته، فقال: من كان ذبح أضحيته قبل أن يصلي -أو نصلي-، فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح فليذبح باسم الله.

صحيح مسلم: ١٩٦٠

إلى أبناء الدولة ٣

محمد بن سعيد الأندلسي

الحمد لله الذي وفّق أهل الإنابة لتصحيح المسار، فاستمسَكوا بالحقّ لمّا استيقَنوا كُفر هٰذه الديار، فحقَّقوا البراءة من الأقوام بعد أن خُذلوا من العوام والرعايا وسائر الأمصار، فليس من سَمع كمَن شهد حقيقة هٰؤلاء الأغمار... والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، الذين كفّروا عموم قوم قد مَنعوا شعيرة الزكاة، فكيف بمن عطّل الحُكم بدين رب الأرض والسماء؟! أما بعد:

فقد مضت عقودٌ من الزمن منذ أن رُفعت رايات القتال، فقامت جماعات وإمارات ودول وأحزاب هنا وهناك، فاندثرت وأُفنيت وأُبيد فيها جيلٌ من أصحاب هٰذه الدعوات، وبالرغم من توالي النكبات، بل وسنّة الله التي جرت في استئصال أكبر مشروع لهم في المشرق، ترى سكوت القوم ومضيّهم على نفس الطريق، وإن تمّ النقد فإنما يتوجه إلى أعلام أو أفراد بُغية إسقاطهم بخلافات عَقَدية، أو لحظوظ الرياسة والزعامة، وليس النظر في ذات الطريق... الطريق الذي سلوكه ضَلال مُبين، والمضي فيه مَزيد من توالي الضربات على نفس الجراح... الجراح التي لا تَلتئم، فهي تنزف حتى الممات، وإنّ الله تعالى يَصرف قلوبًا منهم فيهديها إلى سواء السبيل، ويُقيم عليهم حجّته بسماع صوت الناصحين، ولكنهم لا يحبّون الناصحين، بل حالهم مع الناصحين كما قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١]، وحال الناصحين معهم كما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

إنّ الطبيب الحاذق هو الذي يَعرف تشخيص المرض الذي يصف على إثره الدواء، ويكون به الشفاء بإذن الله تعالى، أمّا الذي لا يستطيع تشخيص المرض، سيَشتغل بغيره، ويُؤدي إلى تفاقمه، فإن كان يحتاج إلى الكيّ لربما صار يحتاج إلى البتر أو يؤدي به الإهمال إلى الوفاة... وكذٰلك هو حال أطبائكم وساستكم؛ فلا يَزال التجميع على الضبابية والمُقارَبة سياسة مطروقة، ولا يَزال التلبيس والتمييع للمسائل الفواصل والعظائم النوازل منهجًا مقصودًا، فتَركتم الخندق بين التيّارين يزداد غورًا ونزولًا، فلا فصَلتم في مسألة الشعوب والأقوام، ولا حَملتم الجُند على ما تَعتقدون وصَدَعتم به بين الأنام، فبان به السبيل واتّضح منه المَقال، بل لا زلتم تُمسكون العصا من الوسَط خشية أن يَنفضّ الجَمع من حولكم، ولسان حالكم: لا يهمّ ما تعتقد وترى؛ فهناك مساحة واسعة في ذٰلك لمَا ترى، ما يهمّنا هو ولاؤك لهٰذه الجماعة والقتال

تحت رايتها والبذل لها... فمصلحة الجماعة عندكم أهمّ من تصحيح المَسار العَقدي، والرجوع إلى الحقّ القديم الأزلي. ولا نزال نرى الكثير من أتباعكم وإعلامييكم يجتهدون في نفي الحقّ عن الدولة بكل ما أوتوا من قوة، ويَرمون من كفّر هٰذه الأقوام الوثنية بالبدعة والخارجية، ويتبرّؤون جُملةً من التكفير بالعموم، ويتواصون بينهم بالثبات على أسلمة هٰذه الأقوام بالعموم، ويَعقدون عليها الولاء والبراء... فاتّقوا الله أيها القادة؛ فقد صَددتم خَلقًا كثيرًا عن الحقّ، وكنتم ولا زلتم حجرة عثرة للسالكين، فلا أنتم رجعتم إلى الحقّ الذي استيقَنَته قلوبكم، ولا مَكّنتم الأتباع والأنصار من الوصول إليه، فما حال بينهم وبين الحقّ إلا التقليد لكم، وحُسن الظنّ بكم، وأنكم على الثغر ومشيخة الجهاد... فوالله لتُسألنّ عن هٰؤلاء الأتباع، ولتَحملنّ أوزار ضلالهم كاملة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. ألم يَئِن الوقت لإعادة النظر في تلك التّهم المعلّبة وتشريحها، والنظر في حقيقتها؟

تلك التّهم التي تُصنّع في مصانع الفِرىٰ والبُهتان، التي يُرمىٰ بها أهل الحقّ والإيمان في هٰذا الزمان، كرميهم بالغلوّ والخارجية، وقد نالكم نصيبٌ منها في آنِف الزمان... نفس التّهم التي رُمي بها أهل الإصلاح من قديم الزمان، قال أبو عبد الله -الإمام أحمد-: «بلغني أنّ أبا خالد وموسى ابن منصور وغيرهم يجلسون في ذٰلك الجانب، فيعيبون قولنا، ويَدْعون إلى هٰذا القول -ألا يُقال مخلوقٌ ولا غير مخلوق-، ويَعيبون من يكفّر، ويَزعمون أنّا نَقول بقول الخوارج. ثم تبسّم أبو عبد الله كالمغتاظ. ثم قال: هٰؤلاء قوم سوء» [السنة للخلال ٥/١٣٧]، ولذٰلك وجب عليكم التجرّد للحقّ وعدم تأخير البيان؛ فإنّ الرجوع إلى الحقّ -وإن كان في أثناء الطريق- رفعة عند الله تعالى، ويُعفي المتبوع من تبعات ضلال المتبوعين وقتلهم تحت رايات عميّة، وينبغي على المتجرّد الباحث على الحقّ أن يحتاط لدينه، ويتحرّىٰ الإنصاف في الحُكم على الأشخاص والدعوات؛ حتىٰ لا يكون إمّعة ويكون نصيبه كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢١].

أيها المنصف: اسمع ما يقوله عمرو بن العاص لمّا قيل له: «ما أبطأ بك عن الإسلام، وأنتَ أنتَ في عقلك؟ قال: إنّا كنّا مع قومٍ لهُم علينا تقدّم وسنّ، تُوازي حُلومهم الجبال، ما سلكوا فجًّا فتَبِعناهم إلا وجدناه سهلًا، فلمّا أنكروا على النبي صلى الله عليه وسلم أنكَرنا معهم، ولم نفكّر في أمرِنا، وقلّدناهم. فلمّا ذهبوا وصار الأمر إلينا، نظرنا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا الأمر بيّن، فوقع في قلبي الإسلام» [تاريخ دمشق]. فتفكّروا في هٰذا الأمر؛ فإنّ الخَطب جلل، حتى لا تزهَق النفس على العطب والخلل.

أيها المناصر الوفي: هل تعلم أنّ الشعوب التي تجتهد في الدّفع عنها، والتّرقيع لها، وتسفيه من تبرّأ منها، أنك عندهم من الشياطين والمجرمين؟ فإنّ عامّتهم يبغضونك لدينك الذي أنت عليه، ويرونك آفة في مجتمعاتهم، وعِلّةً بينهم، وعدوًّا لأوطانهم، فهل تجرؤ على إعلان ما تعتقده بين ظهرانيهم، أو تصدع بمعتقدك على منابرهم أو

في سُوقهم ومُلتقياتهم ومُنتدياتهم؟ وهل تظنّ أنّ قومًا تَستخفي بينهم بدينك هُم قومٌ مسلمون؟ فلو عَلِموك تحمل هٰذا الفكر لنبذوك وطرحوك، وسَعوا جاهدين في تبليغ الطواغيت عنك والتحذير منك. هل تعلم أنّ المتديّن بينهم هو على طريقة الصوفية، أو على طريقة المدخلية، أو على طريقة التبليغ أو الإخونجية؟ فهٰؤلاء هُم عُصارة المجتمع من المتديّنين، أمّا الباقي من الطّوام والغوغاء فهُم أتباع الشياطين وأوليائهم من جُملة المنسلخين. هٰذه هي تركيبة المجتمع الذي تؤسلمه، بين التديّن بدين شركي باطل أو هو الاتّباع المُطلق للهوى والشيطان والكاهن، ولا ينقضي العجب ممّن يكفّر هٰؤلاء المتديّنين بهٰذه الأديان الباطلة، يكفّرهم بالعموم والأعيان، ويعذر أتباع الشياطين المنسلخين بالعموم والأعيان! يُكفّر العُصارة ويؤسلّم الرّذالة، وهٰذا من عجائب الأقوال وغرائبها في هٰذا الزمان، وإلى الله المشتكى.

أيها المناصر الوفي: ألا تستحي من الله عزّ وجلّ وأنت تدافع على هٰذه الأقوام الوثنية المنحلّة، وهُم يترحّمون على فطائس النصارى، ويَخرجون بالملايين إلى ساحات الحرية، ويهتفون باسم الديانة الديمقراطية؟ ألا ترى أنّ العموم هو من يصنع الطواغيت، وينتخب عليهم، ويثبّت عرشهم؟ إذ الحُكم عندهم للجمهور، كيف وأنت تعيش في دولة اسمها الجمهورية الشعبية الديموقراطية، ثم بعد ذٰلك تُنكر تكفير الجمهور بالعموم!! ألا ترى أنّ العموم يعقد الولاء للجيوش الوثنية، بل هُم أنفسهم جنود احتياط في صفوفهم، ويقفّ شَعرهم وبدنهم تعظيمًا حين يسمعون النشيد الوثني القومي؟ ألا ترى أنّ بني قومك لا يعرفون من الإسلام إلا رسمه واسمه، جاهلين لحقيقته وكنهه، عبّاد الطواغيت طاعةً وانقيادًا وتحاكمًا؟ أليس العموم واقع في الشرك والوثنية والديانة الديموقراطية، وأنّ الحُكم للأكثر والأغلب، والنادر لا حُكم له، بل يلحق القليل المستخفي بحُكم الكثير الظاهر في الديار؟

يقول حمد بن عتيق: «ومن له مشاركة فيما قرّره المحقّقون، قد اطّلع على أنّ البلد إذا ظهر فيها الشرك، وأُعلنت فيها المحرّمات، وعُطّلت فيها معالم الدين، أنها تكون بلاد كُفر، تُغنم أموال أهلها وتُستباح دمائهم، وقد زاد أهل هٰذه البلد بإظهار المسبّة لله ولدينه ووضعوا قوانين يُنفذونها في الرعيّة مخالِفة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد علمتَ أنّ هٰذه كافية وحدها في إخراج من أتى بها من الإسلام، هٰذا ونحن نقول قد يوجد فيها من لا يُحكم بكفره في الباطن من مُستضعَف ونحوه. أمّا في الظاهر فالأمر ولله الحمد واضح ويَكفي، كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في أهل مكة، مع أنّ فيها مستضعَفين، وكذٰلك ما فعله أصحابه بكثير ممّن ارتد عن الإسلام، من استباحة الدم والمال والعرض، وكلّ عاقل وعالم يعلم أنّ ما أتى به هٰؤلاء من الكُفر والرّدة أقبح وأفحش وأكثر ممّا فعله أولئك، فارجِع النظر في نصوص الكتاب والسنة، وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، تجدها بيضاء نقيّة لا يَزيغ عنها إلا هالك، ثم فيها ذِكر العلماء، وارغب إلى الله في هداية القلب وإزالة الشبهة» [الدرر السنية ٢٥٧/٩]. وأنا أقول كذٰلك لك أيها المُناصر، فارغب

إلى الله في هداية القلب، وإزالة هٰذه الشبهة. أليست ديار اليوم على ما وَصَفَ حمد بن عتيق؟! بل هي أشدّ وأشنع، فما لكم كيف تحكمون؟ ما لكم لا تنزّلون هٰذا التأصيل إلا فيما تشتهي أنفسكم وتهوىٰ من الديار -كالجورة والشعيطات قديمًا- وتمنعون ذٰلك في أكثر الديار، مع أنّ المناط هو المناط؟ أَهِبْتُمْ تكفير عشائركم في الأنبار وديالى وبغداد؟ أليس العالَم تحكمه قوىٰ الشرّ بقانون الغاب، يُساق له البشر هنا وهناك؟ أليسوا تحت مظلّة الأمم المتحدة، عبيدٌ لها، وكلّ الشعوب على دينها، ويَجري عليهم حُكمها؟ ألم يقاتلكم البي كي كي بأبناء القرىٰ والديار المجنّدين تحت راية التحالف الدولي؟ فلو كانت تلك الشعوب التي حكمتموها على الإسلام، لسُقيَتْ تلك الأراضي بدمائهم، ولَذادوا عن دينهم، ولكنهم طَعنوا الدولة في صدرها، وكانوا وقود حرب البي كي كي عليها، فقد استُنفروا تباعًا لنزالها، فأجهَزوا عليها حتى فنائها... نعم، لقد انتهت الخلافة بأيدي رعاياها، وسيوف أهل ديارها الذين رفضوها كفاحًا، ونبذوها قتالًا... جزاءً وفاقًا، نصرة الكافرين، وأسلمة المشركين.

عذرًا أيتها الدولة: فقد أراكم الله كُفر هٰذه الديار بأوضح برهان، وأجلى بيان، فلمّا دارت عليكم الدائرة، رَأيتم من جموعهم الكُفر البَواح، والدّوس على شعار العفّة والفضيلة، والرقص على أنغام الحريّة والرذيلة، وبعد كلّ هٰذا تَصمّون الآذان، وتُغمضون الأعين، وتُسفّهون الأحلام... اتّقوا الله عزّ وجلّ، فإنّ الموت يَتخطّفكم من بين أيديكم ومن خلفكم، فلا تأخذكم العزّة بالباطل، فعودوا إلى الحقّ فإنه الفضيلة، وأوبوا إلى الإسلام، وارفعوا بحقّ راية خير الأنام، تُفتح لكم الأرض، وتبوءوا بالفوز في ساحات القتال، ولا يصدّنكم الكِبْر ولا الأصنام، ولا الشيوخ ولا الرجال.

قال تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

اللّهم إنا نشكو إليك ضعف قوّتنا، وقلّة حيلتنا، وهواننا على الناس.

اللّهم هيّء لنا من أمرنا رَشَدًا، واجمع كلمتنا على التوحيد.

اللّهم أفرغ علينا صبرًا، وتوفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

يتبع...

الضبابية في التجميع

وكلٌّ من الطائفتين قد بايع الدولة وهو يحسب أنها على منهجه، تقول بقوله، وسياسة الدولة التجميعية كانت تقتضي إظهار الموافقة للجميع، ولا مجال لذلك بعد التمكين...

سُبل النجاة

أبو خالد الشامي

يَا طَالِبًا سُبُلَ النَّجَاةِ مُكَابِدًا ❊❊❊ فِي زَحْمَةِ الْأَهْوَاءِ وَالتَّدْلِيسِ

وَاللهِ مَا دَرْبُ الْهُدَى أَمْنًا وَلَا ❊❊❊ سَفَرًا إِلَى بَرْلِينَ أَوْ بَارِيسِ

إِنَّ النَّجَاةَ مَخَاطِرٌ وَمَوَاعِرٌ ❊❊❊ وَمُشَرَّدٌ وَمُهَجَّرٌ وَحَبِيسِ

فَمَفَازَةٌ عِنْدَ الْمَمَاتِ لِصَابِرٍ ❊❊❊ وَخَسَارَةٌ لِجُوَيْهِلٍ مَغْمُوسِ

مَنْ يَهْتَدِي نَالَ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا ❊❊❊ وَمَنْ اِعْتَدَى يُسْقَى الْحَمِيمَ كُؤُوسِ

فَاسْمَعْ هَدَاكَ اللهُ قَوْلَ مُنَاصِحٍ ❊❊❊ بِبَيَانِ صِدْقٍ وَاضِحٍ مَلْمُوسِ

النَّهْجُ نَهْجُ الْمُصْطَفَى وَصِحَابِهِ ❊❊❊ لَا مَنْهَجُ الْجَهْمِ وَلَا الْمَرِّيسِي

اِقْرَأْ رُدُودًا فِي السِّرَاجِ صَرِيحَةً ❊❊❊ فِيهَا الْبَيَانُ وَتَكْشِفُ التَّلْبِيسِ

كُتُبٌ بِهَا دَحْضًا لِكُلِّ فَرِيَّةٍ ❊❊❊ وَقَوَاعِدٌ هِيَ صَلْبَةٌ التَّأْسِيسِ

فَجَدِيرَةٌ بِالْحِفْظِ فِي هَذَا الزَّمَنْ ❊❊❊ وَجَدِيرَةٌ بِالصَّوْنِ وَالتَّدْرِيسِ

قَدْ خَطَّهَا شَيْخُ الرَّشَادِ بِهِمَّةٍ ❊❊❊ لِلهِ دَرُّكَ شَيْخَنَا الْإِدْرِيسِي

النزاع
www.seiraj.com

لتحميل الأنشودة
AL_MAHAJAH

الطَّاغُوتُ

من رسالة: حقيقة الطاغوت... وصفة الكفر به
(بتصرف يسير)

الطاغوت ورد في ثمانية مواضع في كتاب الله، وفسره السلف ببعض أفراده وهو من تفسير التنوع، وهي كما يلي:

الكاهن

عن غزوان الغفـاري: «الطاغوت: الكاهن»، وكذلك قال عكرمة. وعن سـعيد بن جبير: ﴿بالجبـت والطاغوت﴾، قـال: «الطاغوت: الكاهـن». وعـن ابن جريـج: ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾، «كهان تنزل عليها شياطين، يلقون على ألسنتهم وقلوبهم».

الشيطان

قال عمر بن الخطاب: «الطاغوت: الشيطان»، وكذلك روي عن ابن عباس والحســن البصري وابن جبير وعكرمة وعطاء وأبي العالية. وعن قتادة: ﴿في سبيل الطاغوت﴾، «يقول: في سبيل الشيطان»، وقـال يحيـى بـن سلام: ﴿واجتنبـوا الطاغـوت﴾، «والطاغوت: الشـيطان، هو دعاهم إلى عبادة الأوثـان». وعن مجاهد بن جبر: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾، «الطاغوت: الشيطان».

سدنة الأوثان

عن ابن عباس: «الطاغوت الذي يكون بين يدي الأصنام، يعبرون عنها الكذب، ليضلوا الناس»، أي: السدنة.

الأوثان والأصنام

قال الســدي: ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾، «يعنــي: واجتنبوا الأوثان». وقال عكرمة: «الجبت والطاغوت صنمان».

كل ما عُبد من دون الله

عن معمـر بن المثنـى: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغـوت﴾، «كل معبود من حجر أو مدر أو صورة أو شـيطان، فهو جبت وطاغوت». وقـال مالك: «الطاغوت: مـا يُعبد من دون الله»، وزاد عليه بعض المتأخرين «الرضا»؛ ليخرج من عُبد من دون الله وهو غير راض كعيســى وعزير. وقـال الطبـري: «كل ذي طغيان على الله فعُبد مــن دونه، إما بقهر منــه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنســانا كان ذلك المعبود، أو شـيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء».

الساحر

قال الشعبي: «الطاغوت: الساحر»، وكذلك قال أبو العالية ومحمد بن سـيرين. وقال ابن جبير: «الجبت: السـاحر، بلسـان الحبشة، والطاغوت: الكاهن»، وقال: «الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر».

الحاكم بغير شرع الله

قال ابن عباس: «كان أبو بردة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيمـا يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسـلمين، فأنزل الله: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ إلى قوله: ﴿إحسانا وتوفيقا﴾». وقال سليمان التيمي: «زعم حضرمي أن رجلا من اليهود كان قد أسلم، فكانـت بينه وبين رجل من اليهود مدارأة في حق، فقال اليهودي لـه: انطلق إلى نبي الله. فعرف أنه سـيقضي عليه، فأبى. فانطلقا إلى رجل من الكهان، فتحاكما إليه، فأنزل الله: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ الآية». وعن جابر أنه سئل عن الطواغيت، فقال: «كان في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، وهم كهان تنزل عليهم الشـياطين». وعن مجاهد: «الطاغوت: الشيطان في صورة الإنسان، يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم».

السراج
www.seiraj.com

صوَر من الامتثال عند الجيل الأوّل

عبد الله الهلالي

إنّ الإسلام الحقيقي لا يقوم إلا على الاستسلام التامّ، والاستجابة لأوامر الله عزّ وجلّ، وطاعته، والسيْر على منهاجه وشريعته، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وهٰذه الدعوة دعوة استجابةٍ لتعاليم الإسلام وشرائعه، والانقياد لعقيدةٍ تحيي القلوب دون اعتراض، وخضوعٍ لله وحده دونما سواه، ودعوةٌ لحياة القوّة والعزّة والاستعلاء، لذٰلك لن يكون أحدٌ أصوب طريقًا ولا أهدىٰ سبيلًا ممّن أسلم وجهه لله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، قال ابن القيم: «فالحياة الحقيقية الطيّبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هُم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهٰذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم» [الفوائد ٨٨].

لقد تحدّدت معاني الحياة الطيّبة النافعة عند الجيل الأوّل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضرَبوا أروع الأمثلة في الاستسلام لأوامر الله تعالى، وتقبّلوها بكمال إذعانٍ وانقياد دون تلكُّؤ أو نُكوص أو اعتراض، فإذا جاءهم أمرٌ من الله قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وفي هٰذا اجتمع كمال السّمع بما أمرهم به، والانتهاء عمّا نهاهم عنه، والطاعة فيما ألزمهم به من فرائضه... ولم يكن الاستسلام عند الصحابة خاضعًا لفُرصة التفكير، أو لِوَطأة التّأجيل، ولا حتى التّدقيق، بل هو الامتثال فقط، وليس لهم محاوَلة صرف الأمر إلى الآخرين دون أن يكون لهم فيه نصيب، بل إنّ الأمر إذا أتى ظَنَّ كل واحدٍ من الصحابة أنه المعنيّ به أوَّلًا قبل غيره.

وإني في هٰذا المقام بحول الله وتوفيقه أذكر بعضًا من الأمثلة والمواقف التي تدلّ على فضل الصحابة باستجابتهم لأمر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، ومن ذٰلك، «لمّا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر، استشار الناس، فقام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امْضِ لِمَا أمرك الله به، فنحن معك، والله ما نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكم مقاتِلون. والله الذي بعثك بالحقّ نبيًّا، لو سرتَ بنا إلى بِرَكِ الغِمَادِ لَجَالَدْنَا معك من

دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له» [حلية الأولياء ١/١٧٣].

ومن صور الاستسلام أيضًا، ما روي عن البراء بن عازب، «أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أوّل ما قَدِمَ المدينة، نزل على أجداده وأخواله من الأنصار، وأنه صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر -أو سبعة عشر- شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه صلى أوّل صلاة صلّاها صلاة العصر، وصلى معه قومٌ، فخرج رجلٌ ممّن صلى معه، فمرّ على أهل مسجدٍ وهُم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صلّيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مكة. قال: فداروا كما هُم قِبَلَ البيت» [أحمد ١٨٤٩٦]. وأخرج البيهقي بسندٍ صحيح من طريق ثابت، «أنّ عبد الله بن رواحة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: اجلسوا. فجلس مكانه خارجًا من المسجد حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: زادك الله حرصًا على طواعية الله تعالى وطواعية رسوله» [دلائل النبوة ٦/٢٥٧]. في مثل هذه المواقف، لقد كفى الصحابة أن يسمعوا كلمةً واحدة في الأمر بشيء حتى يفعلوه في امتثالٍ تامّ واستجابةٍ عامة لم يَشهد التاريخ لها مثيلًا ولا نظيرًا، ولن يشهد!!

وقد يَمتثلون لأمر الله في تغيير أمرٍ قد اعتادوا عليه منذ الصغر، ومع ذلك إذا نزل الأمر والنهي التزَموا به، روي عن أبي النعمان، قال: «كنتُ ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمَر مناديًا فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجتُ، فقلتُ: هذا منادٍ ينادي: ألا إنّ الخمر قد حُرِّمَتْ. فقال لي: اذهب فأهرِقها. قال: فَجَرَتْ في سكك المدينة. قال: وكانت خمرهم يومئذ الفَضِيخَ» [البخاري ٤٦٢٠].

وفي الجاهلية أيضًا، اعتاد الناس تعظيم الآباء حتى كانوا يحلفون بهم، حتى نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قال ابن عمر: «سمعتُ عمر يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. قال عمر: فوالله ما حلفتُ بها منذ سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم، ذاكرًا ولا آثرًا*» [البخاري ٦٦٤٧]، يَظهر جليًّا من مثل هذا أنه لم يكن يمنع الصحابة من الامتناع عن أوامر

* آثِرًا: حاكيًا عن غيري أنه حلف بها.

صَافَحُوا النَّجْمَ عَلَى بُعْدِ الْمَنَالْ *** وَاسْتَطَابُوا الْقَيْظَ عَنْ بَرْدِ الظِّلَالْ
وَاسْتَذَلُّوا الْوَعْرَ مِنْ أَخْطَارِهَا *** إِنَّمَا الْأَخْطَارُ أَثْمَانُ الْمَعَالِي
رَكِبُوا الضُّرَّ إِلَيْهَا رُبَّمَا *** صَحَّتِ الْأَجْسَامُ يَوْمًا بِالْهُزَالْ
وَجَرَوْا يَوْمًا إِلَى غَايَاتِهَا *** بِالْعَوَالِي السُّمْرِ وَالْقُبِّ الْعَوَالِي

الله جرَيان العادة ولا غيرها، ولم يكونوا بحاجةٍ إلى أيام ليتدرّجوا في تركها، بل تركوها مباشرةً، وهٰذه حال أصحاب الإرادة القوية، التي يُنشئها الإيمان، فتباشر آيات القرآن بالاستسلام والإذعان.

ومن الأمثلة الرائعة في استجابتهم، ما روي عن ابن مسعود، قال: «لمّا نزلتْ: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال أبو الدحداح: يا رسول الله! أَوَ إنّ الله يُريد منّا القرض؟! قال: نعم يا أبا الدحداح. قال: يدك يا رسول الله. قال: فناوَله يده. قال: فإني قد أقرضتُ ربي حائطي، حائطًا فيه ستمائة نخلة. ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عياله، فناداها: يا أم الدحداح! قالت لبّيك. قال: اخرجي؛ فقد أقرضتُ ربي حائطًا فيه ستمائة نخلة» [تفسير الطبري ٥٦٢٠].

وترىٰ مَظهر الإذعان للوحي النازل عندهم في مسألة الحجاب، فعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: «لمّا نزلتْ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، خرجتْ نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهنّ الغربان من السَّكينة، وعليهنّ أَكسيةٌ سود يلبسنها» [تفسير ابن كثير ٤٨٢/٦]، وهناك مَظهرٌ آخر للانقياد يَبرز سَناه من موقف ابن عمر، فإنه حين بلغه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ما حَقُّ امرئٍ مسلم، له شيء يوصي فيه، يبيت ثلاثَ ليالٍ إلا ووصيّته عنده مكتوبة. قال: فما مرّت عليّ ليلة منذ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذٰلك، إلا وعندي وصيّتي» [مسلم ٣٠٧٥].

إنّ الاستجابة لله، والاتّباع لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتلقّي خبره بالقبول والتصديق والانقياد، أمرٌ محتّم لا مفرّ منه، ولا مَحيد عنه، ولا نُعارضه بخيالٍ باطل نُسمّيه معقولًا، أو نُحمّله شبهةً أو شكًّا، أو نُقدّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، قال علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخُفّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَمسح على ظاهر خُفّيه» [أبو داود ١٤٠].

والذي مَرَّ معنا هو شيءٌ من خبر الصحابة الذين كانت حياتهم كلها استجابة لله تعالى، فـ«كانوا أفضل هٰذه الأمّة، أبرّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلّها تكلّفًا، اختارهم الله لصحبة نبيّه، ولإقامة دينه، فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتبعُوهم على أثرهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيَرِهم؛ فإنهم كانوا على الهدىٰ المستقيم» [إغاثة اللهفان ١٥٩/١].

لقد سار القوم، ووقفنا... وتقدّموا، ورجعنا... فوصلوا، وانقطعنا...وحالهم في واد، وحالنا في واد آخر:

إنْ قُلْتَ قُمْ قَالَ رِجْلِي مَا تُطَاوِعُنِي *** أَوْ قُلْتَ خُذْ قَالَ كَفِّي مَا تُوَاتِينِي

أَيْنَ الْخَلَلُ؟

خليفة الشحي

منـذ أن وعينـا علـى الدنيـا، والإسلام مختطـف من طواغيـت الأنظمة الوضعيـة، ومحتكـر مـن رجـالات الديـن وهيئـات الإفتـاء، فيمـا تزعُـم أحـزاب الديـن وجماعـات القتـال الوصايـة عليه.

فعمّتنـا الغفلـة -وإن شـئت قُل: أعمتنـا-، فقضينـا معظم أعمارنا في الـضّلال، حتـى أنـار اللـه قلوبنـا بـالإسلام، وكلٌّ قـد نـال نصيبـه مـن لدغـات الجاهليـة، التـي ما زالـت آثارها ظاهرة في أخلاقنـا وتعاملاتنا بعضنـا بعضًـا كمسـلمين، ومطبوعـة في العقول.

فهـذا الأخ يبغـض أخيـه، وذاك قاطـعٌ لرحمـه، وآخـر في قلبـه غِـلٌّ لأقرانـه، وعلـى أتفـه الأمور تحـدث الشـقاقات والخلافـات وتُصبغ زورًا بصبغـة دينيـة، فكلمة من هنا يسـمعها الأخ من أخيـه تجعله يهيج وينقلـب عليـه وعلى الإخـوة جميعًـا، ويتركهم من دون سـابق إنذار، ويقطـع التواصـل معهـم رأسًـا، وربمـا كفّرهـم، ومـا هـذا إلا لهوىً في نفسـه، أو مـرض في قلبـه، أو سـفاهة في عقلـه... فهـذه حاله في قعـوده وقـت السـعة، فكيف لـو علـى الأرض وقـت الجـدّ والجلَد؟

فلسـنا مشـتتين مبعثريـن في فجـاج الأرض وحسـب، بـل في الفكـر أيضًـا، مـع أن هدفنـا واحـد... وأدعـوك أن تجيب عن سـؤالي متجـرّدًا: هـل نحـن علـى قلـبٍ واحد؟

إن الخلـل في الأخلاق لا في الديـن، وإن الاعوجـاج يحتـاج إلى تقويم، ومـا أحوجنـا إلى التزوّد مـن التوجيهـات الأخلاقيـة والمواعظ، فنحن حديثـو عهـد بجاهليـة، نحتـاج إلـى تنظيـف وتنقيـة مـن رواسـبها التـي علِقـت فينـا، فلا ينبغـي أن نغفـل جانب تقويـم الأخلاق علـى حسـاب تعلّـم العقيـدة وضبطها.

وبئس دينٌ بلا أخلاق.

www.seiraj.com

نماذج من النساء العالمات (٤)

ثناء مصطفى

تُنوّرنا في هٰذا المقال امرأة أخرى مثابرة ومجاهدة في دينها وعلمها، لم يمنعها الجهاد وظروف الحياة عن طلب العلم والتعلّم، وهي الصحابية الجليلة أم عطيّة الأنصارية رضي الله عنها وأرضاها، «من فاضلات الصحابيات... واسمها نُسيبة، بِنونٍ ثم سينٍ مهمَلة، ثم مِنهم من ضَمَّ النون وفتَح السين، ومنهم من فتَح النون وكسَر السين» [تهذيب الأسماء ٣٦٤/٢]، وقيل إنّ: «اسمها نُسيبة بنت الحارث، وقيل نُسيبة بنت كعب» [أسد الغابة ٣٥٦/٧]، وقد تردَّد المترجمون لها في ذٰلك؛ فبعضهم جعَل أم عطيّة هي نُسيبة بنت كعب، كيحيى بن معين وأحمد بن حنبل [المصدر السابق]، و«ابن منده، وأبو نعيم، وخالفهما أبو عمر في أم عطيّة بنت الحارث، وجعَل أم عمارة نُسيبة بنت كعب مثلهما، ووافقه ابن ماكولا، فقال: وأمّا نُسيبة بِضَمٍّ أوّله وفتْح ثانيه، فهي نُسيبة أم عطيّة الأنصارية، لها صُحبة ورواية.

وأمّا نَسيبة بفتح أوّله وكسر ثانيه، فهي أم عمارة نُسيبة بنت كعب الأنصارية، كانت تشهد المَشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم» [أسد الغابة ٢٨٠/٦]، وتردَّد بعضهم فيهما، فقال: «ويُحتمل أن تكون نُسيبة هٰذه أم عطيّة، ويُحتمل أن تكون أم عمارة. والله أعلم وأحكم» [التعديل والتجريح ١٢٨٨/٣].

لقد أسلمَت هٰذه الصحابية الجليلة في السابقات، وبايعَت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت من اللواتي جَمعن بين شرف السّبق إلى الإسلام، وصُحبة النبي صلى الله عليه وسلم، والجهاد معه في سبيل الله تحت ظلال السيوف وفي ساحات الوغى، فكان لها الدور الكبير والمؤثّر؛ حيث أنها كانت تشارك في الجهاد، وكانت تقوم بأعمال التمريض وإعداد الطعام للجنود، ولم تكتفِ بذٰلك بل كانت كذٰلك الحارس الأمين على أمتعة الجيش المسلم، فقد روي عنها أنها قالت: «غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أُداوي المرضى، وأقوم على جراحاتهم، وأخلُفهم في رحالهم -أي: منازلهم ومَتاعهم-، أصنع لهم الطعام» [مسند أحمد ٢٨٣/٤٥]... ولا شكّ أنّ هٰذه الخدمات التي أدّتها أم عطيّة مُهمّة في ميدان المعركة، ولا يمكن الاستغناء عنها!

لقد كانت أم عطيّة رضي الله عنها تتميّز بالحكمة البالغة والعقل الراجح، قال ابن عبد البر: «كانت من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين» [الاستيعاب ١٩٤٧/٤]، وقال في السِّيَر واصفًا إياها: «أم عطيّة الأنصارية... من فُقهاء الصحابة» [السير ٣١٨/٢]، وقد «رَوَتْ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن عمر رضي الله عنه» [الموطأ ١٢٦/٦]، ويصل عدد أحاديثها عن النبي صلى الله عليه

وسلم «أربعون حديثًا» [العدة ٧١٤/٢]، «أُخرج لها في الصحيحين تسعة أحاديث، المُتَّفَق عليه منها سبعة، وانفرَد البخاري بحديث، ومسلم بحديث» [تلقيح فهوم أهل الأثر ص٢٩٣]، وحديثها كذٰلك أخرجه أصحاب الكُتب الستة، وروىٰ عنها من الصحابة والتابعين «أنس بن مالك، ومحمد وحفصة ابنا سيرين، وعبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، وعلي بن الأقمر، وأم شراحيل» [تهذيب التهذيب ١١٠٤/١٥].

وعلىٰ قلّة روايتها رضي الله عنها عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في كُتب السنة، وانفرادها بأحاديث لم يروِها غيرها من الصحابة -في مسائل غُسل الميت، والعيدين، وطهارة المرأة، والإحداد، واتّباع الجنائز، وغيرها-، إلا أن مرويّاتها ذات تأثير كبير، وعليها مَدار العمل باتّفاق العلماء قديمًا وحديثًا، ومن هٰذه الأحاديث؛ حديثها: «أَمَرَنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن نُخْرِج في العيدين العَواتِق وذَوات الخُدور، وأَمَرَ الحُيَّض أن يَعتزلْن مُصلّىٰ المسلمين» [مسلم ٨٩٠]. وحديثها: «نُهينا عن اتّباع الجنائز، ولم يُعْزَمْ علينا» [البخاري ١٢٧٢]. ونُقل لنا فيما يخصّ المحيض، قولها: «كنّا لا نعدّ الصُّفرة والكُدرة شيئًا» [البخاري ٣٢٦]، وكذٰلك حديثها في الإحداد: «كنّا نُنهىٰ أن نُحِدَّ علىٰ ميت فوق ثلاث، إلا علىٰ زوج؛ أربعة أشهر وعَشْرًا، ولا نَكتحل، ولا نَطَّيب، ولا نلبس ثوبًا مصبوغًا إلا ثوب عَصْبٍ، وقد رُخّصَ لنا عند الطّهر إذا اغتسلَت إحدانا من محيضها في نُبذة من كُسْتِ أظفار، وكنّا نُنهىٰ عن اتّباع الجنائز» [البخاري ٥٣٤١].

وقد كانت رضي الله عنها رائدة في تغسيل الموتىٰ، فقد «شهدَت غُسل ابنة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وحكَت ذٰلك فأتقَنَت. وحديثها أصلٌ في غُسل الميت، وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غُسل الميت» [تهذيب التهذيب ٣١٦/٣٥]، ومن هٰؤلاء محمد بن سيرين، حتىٰ قيل: «أعلَم التابعين بغُسل الميت، ابن سيرين ثم أيوب بعده» [الاستذكار ٨/٣]، وقال الإمام أحمد: «ليس في حديث غُسل الميت أرفع من حديث أم عطيّة»، وقال البيهقي تعليقًا علىٰ حديثها في النهي عن اتّباع الجنائز: «إلا أنّ أصحّ ما روي في ذٰلك صريحًا، حديث أم عطيّة» [السنن الكبرىٰ ١٣١/٤]، ونَظائر ذٰلك كثير.

وبعد هٰذه الرحلة الشيّقة في طلب العلم والجهاد في سبيل الله، انتقلت أم عطيّة رضي الله عنها إلىٰ البصرة «تُبادر ابنًا لها، فلم تدركه -وهٰذا الابن ما عرفتُ اسمه-، وكأنّه كان غازيًا، فقدِم البصرة، فبلَغ أم عطيّة وهي بالمدينة قدومه، وهو مريض، فرحلَت إليه، فمات قبل أن تلقاه... بيوم أو يومين» [فتح الباري ١٢٧/٣]، ثم استقرّت هناك، وكلّ الرواة الذين رووا عنها كانوا بصريين، ولم تَذكر المَصادر سنة وفاتها علىٰ وجه التحديد، وقد أشار الذهبي أنها «عاشت إلىٰ حدود سنة سبعين من هجرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم» [السير ٥٣٨/٣]، فرحمها الله، وأجزلها خيرًا، وجمعنا بها في جنات النعيم، فقد حفظَت لنا سننًا عظيمة، وعلّمت النساء مسائل دقيقة، وقدّمت عطاءً عظيمًا للإسلام والمسلمين، ورفع الله ذِكرها، وحفظ التاريخ اسمها، رضي الله عنها وأرضاها.

يتبع...

خيرُ أُمٍّ لخيرِ أُمّة

يمنى الإمام

أختي المسلمة: إني أكلّمكِ بلسانٍ عربيّ، وعقلٍ واعٍ مدرِك، وقلبِ امرأةٍ تجرّعتْ مُرَّ الصّعاب في مجتمعٍ فاسدٍ تحكُمه العادات والأعراف الجاهلية، أدّبَتها المَصائب وربّاها العيش في محيطهم، حتى استقام اعوجاجها وأدركَت الحقيقة والغاية التي تعيش لأجلها، وبانت أمامها جليّةً واضحةً تفاهة مَقاصد مجتمعها، وسفاهة أحلامهم التي كانت تنخدع بها... هٰذا الخداع قد يَستحكم ويُسيطر ويُلقي شِباكه على قلبكِ فيُفسده إن لم تستطيعي التخلّص منه بتصحيح مفهومكِ.

فيا أختَ الكرم: إنّ كتابي هٰذا موجّهٌ لضميركِ وعقلكِ، عساه يُلامس شغاف قلبكِ، وهٰذا أقلّ ما يمكن أن نقدّمه لأمّتنا في انهزامها وضعف قوّتها، وهوانها على كل الأمم... فسَواء كنتِ تقرأين هٰذه الكلمات لحظة إصدارها، أو بعد سنين طويلة من خطّها، أو بعد أزمانٍ أكون أنا فيها قد ترِبَت يداي وواريتُ التراب... عليكِ أن تَعلمي حينها أنني ما كتبتها إلا لأجلكِ، فيا حبّذا الإصغاء والتّمعن لهٰذه الكلمات؛ لأنني أعرف أنها الوسيلة الوحيدة لإيصال كلمات بنات جنسكِ إليكِ في أي بقاع الأرض كنتِ، فتنبّهي واستيقني أن لم يجئ بكِ إلى بين هٰذه السطور سوى فطرتكِ السويّة وهمّتك العالية؛ فالتافهات والسخيفات لا ينجذبنَ سوى لِمَا يشْبههنّ، وأنتِ متميّزة، بارزة لامعة باختلافكِ، والطيور على أشكالها تقَع... ولن أطيل عليكِ بالمقدمة، وسأختصر الكلام ما استطعتُ إلى ذٰلك سبيلًا؛ لأنه كما قيل: «فإنّ أحسن الكلام، ما عَرف الخاصّة فضلَه، وفَهم العامّة معناه» [المثل السائر لابن الأثير ١/١٧٨].

أمّا بعد أختي الغالية: إنّ الفعل أقوى في الدّلالة على المُراد من القول، وإن اختَلف قولٌ وفعلٌ فلا عبرة بأقوال كذّبَتها الأفاعيل؛ فقد ادّعى من قبلُ قومٌ المحبة فجُعل الاتّباع -الذي هو الفعل- شرطًا لصحّة دعواهم، كما في قول الباري عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ونطقَت بالصلاح نفوسٌ مريضة، ونطقَت بالفساد فِعالهم، فكذّبَها وكشَف زيف زعمها قول العليم الخبير: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

إنّ الإسلام أختاه قد عظّم دوركِ وأعلاكِ عن المُفسدات لِبَنات جيلكِ وزمانكِ، وجعَل لكِ دَورًا لا يستطيع أن يُجاريه أحدٌ، وكلّفكِ بالعلم والعمل، فأنتِ أحد أساسات التكوين والبناء، وأهمّ اللّبنات لقيام أرض الإسلام والجماعة المسلمة، وإن قُلنا غير ذٰلك فنكون ظلمناكِ حقّكِ الذي أعطاه الله إياكِ، وعظّم به شأنكِ من فوق سبع سماوات -رغم أنف جميع الحاقدين من العرب والعجم-، وجُعلت لكِ سنّة كونيّة إلى قيام الساعة، ألا وهي بناء بيتٍ

شريف، وتربية جيلٍ عريق، وهٰذه أشرف الأعمال التي قُدّرت لكِ، فإن نجحتِ في رسم خطّتكِ، ونفّذتِ ما علّمَنا إياه ربنا، أفلحتِ وأعدتِ لنا مجدنا من جديد، وإن لم يكُن في زمانكِ فهو لا بدّ سيكون محتَّمًا في زمان أولادك أو أحفادك، وسيكون لهم عِزًّا أصله يديكِ الطاهرتين، وسيذكر التّاريخ أمجادك الكريمة، فإنّ أفضل الجُود العطاء قبل الموعد، فأنتِ تزرعين ليحصد أبناؤكِ في الدنيا، وأمّا حصادكِ أنتِ فهو عند واسع الجُود والعطاء... لِمَ لا وأنتِ التي رسمتِ فكرتكِ وأسّستِ منهجكِ، وأمسكتِ بزمام أمركِ، وتشبّثتِ بحلمكِ الذي لم تلتفتي فيه إلى مالٍ ولا جاه ولا نصرة لنفسكِ، إنما إلى دينكِ وعرضكِ وأبناء الإسلام الذين تقومين على تربيتهم وتنشئتهم... الآن في هٰذه اللحظة وهُم أمام عينيكِ تعدّين لهم الطعام، أو تخيطين لهم الثياب، أو غير ذٰلك من الجهاد الذي يكتبه الله لكِ وأنتِ في قعر بيتكِ محجوبة مخبّأة عن أعين الفاسقين والفاسقات... وأنتِ تلك التي أدّبَت نفسها بالقول لها: «إن لم تزيدي شيئًا في الحياة، كنتِ زائدةً عليها، ولا خير فيها حينئذ»، والكريمة الحرّة الأبيّة نفسها، تأنف أن تكون على الهامش زيادة لا فائدة من وجودها؛ لأنها تعلم أنّ من وراء خَلقها حدثًا عظيمًا وأمرًا جسيمًا.

إن دقّقتِ وحقّقتِ وجدتِ أنّ الله أنعم علينا -معشر النساء- نعمًا لا تعدّ ولا تُحصى، إذ جعلَنا مجاهدات في التزيّن لطاعة أزواجنا، في مقابل الرجال الذين يتجرّعون ألم الحرب والرّعب، ويُقاسون مُرَّ الجِراح والضربات ليحوزوا بها المنزلة الرّفيعة، وجعَل لنا نفقةً واجبة مفروضة على جميع أزواجنا دون أن نُخرج إصبعًا واحدًا منّا خارج المنزل للعمل أو التفكير بالسعي من أجل جمع المال وغيره، بل كلّ ذٰلك يأتي مؤمَّنًا لنا مجهَّزًا، بينما الرجال يشْقون ليل نهار لتأمين جميع مطالبنا واحتياجاتنا... وجعَل لنا على تربية أطفالنا والاهتمام بتعليمهم أجرًا عظيمًا لا يجزي به إلا أكرم الأكرمين، واسع العطاء... وأشياء كثيرة وفضائل عظيمة لو أردتُ عدّها لضاق لذِكرها ديوان، ثمَّ يأتيكِ أبلهُ أرعن يقول إنّ الإسلام أهاننا!! وإنّ شرّ البليّة ما يُضحك...

وهٰذا كله من إحسان ربنا جلّ وعلا، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان؛ بأن نَرُدّ الجميل إلى الله تعالى بحفظ أنفسنا وأزواجنا، وتربية جيلٍ يكون صَدرَ الإسلام، المُدافع عن أنصاره.

وإنّ الواحدة منّا تساوي شعبًا كاملًا وأمّة بأسرِها، فإن كنتِ تريدين أن تكوني امرأةً مسلمةً قولًا وفعلًا -لا بالقول فقط-، فرُدّي إلى الله إحسانه إليكِ بحفظ أبناء دينكِ وتربيتهم على الصواب، أعِدّي لدينه أبطالًا ليس لشجاعتهم وإقدامهم مثيل، يتعجّب منهم القاصي والدّاني في أخلاقهم وإخلاصهم، وَجُودهم وكرمهم، وحبّهم لدينهم وتفانيهم في خدمته... ارفعي رأس الأمّة عاليًا، هٰذه الأمّة التي أصبح حالها يُدمي الفؤاد، ويُؤلم قلب الغَيور... اسعي كلّ السّعي لتكوني خير أُمّ لخير أمّة، واحذري أن تكوني ممّن يملك الوقت والصحة والجهد لٰكنه يفقد الصّدق والعزم، ويغفل عن دوره المنوط به، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النّاس: الصحّة والفراغ» [البخاري ٦٤١٢].

ولْتعلمي أنّ طريق التوحيد مُذ بَعث الله نوحًا إلى يومنا هٰذا، طريقٌ وَعْرٌ متعِب؛ فيه من الفقْد ما فيه، وفيه من التشريد والمطاردة ما فيه،

وقد تجِدين نفسكِ وحيدة؛ لأنّ لا أحد سيكون على نهجك، وإن كان فستفقدينه، فوطّني نفسك على هذا، واستأنسي بزوجٍ مُطاع، وأولادٍ مُطيعين أصحاب هَمٍّ وهِمَّةٍ، ولا تَرضي بالدُّون، وحمِّلي نفسكِ هَمًّا أكبر وأعظم من سنِّك، ولا تقولي: «ما زلتُ صغيرة»، أو تقولي: «أصبحتُ في السن كبيرة»، وكوني فَطِنَةً واعية كما كانت عائشة رضي الله عنها، مع صغر سنها.. كوني ذكية معطاءة، ذات تضحية وبذل كما كانت خديجة رضي الله عنها... تخلّي عن ملذّات الدنيا بالآخرة، ودَعيها في نحر أصحابها كما فعلَت الشجاعة المقدامة نسيبة –أم عمارة– رضي الله عنها، وليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشرّ الشرّين... وهذه الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، كما أخبَر بذلك الصادق المصدوق، ومَبناها على الهمّ والكدر، ولن تعيشي بسلامٍ وأمان داخليّين وضمير مطمئن إلا إن جعلتِ هدفكِ ساميًا كبيرًا، متعلّقًا بنصرة الإسلام وعزّه...

ولتكوني معروفة بمقولتكِ: «نفْسي ومالي دون الإسلام»، قولًا مُثْبَتًا وفِعْلًا ظاهرًا بائنًا... وتذكّري قول شاعرهم:

وَيَفُوزُ بِاللَّذَاتِ كُلُّ مُغَامِرٍ
وَيَبُوءُ بِالْخُسْرَانِ كُلُّ جَبَانِ

لا تجعلي بنات جنسكِ يسبقنكِ وتتخلّفين، كوني قدوةً أمامهنّ، ومثلًا يُضرَب لهنّ، وإياكِ إياكِ أن تكوني محلّ فسادٍ والعياذ بالله، أو محلّ إهمالٍ للبيت والأولاد؛ فنحن في مرحلة تنقية وتمحيص، فإن لم تكوني مِلْحًا يُصلح لا تكوني ذبابًا يُفسد... وربّي وربّكِ الله.

لقطع محمد يدها

عن عائشة: أن قريشًا أهمّتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال –النبي–: أتشفع في حدّ من حدود الله؟! ثم قام فخطب، قال: يا أيها الناس، إنما ضلّ من قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سرقت، لقطع محمد يدها.

صحيح البخاري: ٦٧٨٨

قال تعالى

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

البقرة: ١٩٦

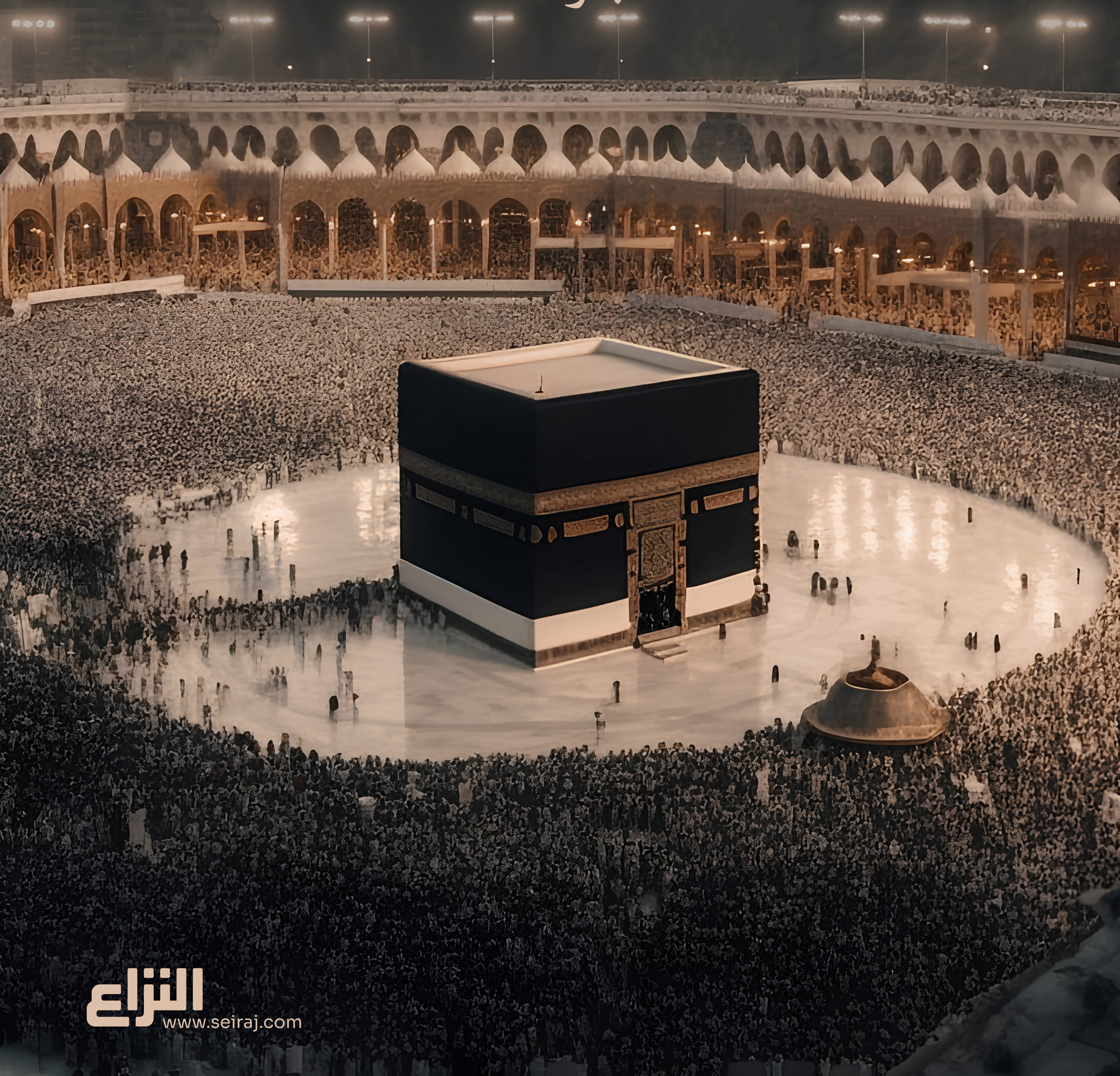

www.seiraj.com

المنتقى من الفتاوى

إرشاد السائل إلى جواب المسائل

العـــدد ٣١ • الســـؤال ٤٩

الشيخ يرى أنّ مجهول الحال في ديار الكُفر تكفيره من أصل الدين، وأنّ المتوقّف في مجهول الحال مُخِلٌّ به، فما التوجيه في هذا؟

أقول ليس هناك مجهول حال في الديار، وإذا كنتَ تجهل حالهم فلا تُحكِّم جهلك على الشريعة، بل الشريعة لا تأتي بهذه الجهالة الواسعة لحُكم الناس في الديار، فكيف يكون ٩٩٪ من الناس في هذه الديار مجهولين!! هذا لا يوجد إلا في ذهنك، بل الناس في هذه الديار معلومٌ حالهم وحُكمهم، ولا بد أن تَعلم أنّ الله قد تعبّدنا بالحُكم في الدنيا بما ظَهر لنا من القوم والدّار والمجموع والعموم ابتداءً، ثم العين تَبعٌ للقوم، ولا شكّ أنّ القضية تُبنى في النّظر من الأعلى إلى الأسفل، والنّظر يُسَلَّطُ ابتداءً على القوم والدار، فالقوم إمّا أن يكونوا مسلمين والدار دار إسلام -فالفرد بينهم تَبعٌ لهم في الإسلام-، أو كافرين والدار دار كُفر -فالفرد كذلك بينهم تَبعٌ لهم في الكُفر-، ويُستثنى من ذلك مَن أظهر المخالَفة لقومه في الدين، فيخصَّص من عموم القوم، وهي طريقة القرآن في نسبة العين إلى القوم وبناءِ الأحكام على ذلك؛ لأنّ النّظر في الأفراد فردًا فردًا هذا من تكليف ما لا يُطاق... ويكون النّظر في الأفراد على جهة الاستقراء لبِناء الحُكم على العموم، وممّا يدلّ أنّ العين تَبعٌ للقوم:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

وعن الصعب بن جَثّامة، قال: «مَرَّ بي النبي صلى الله عليه وسلم بِالْأَبْوَاءِ -أو بِوَدَّانَ-، وسُئل عن أهل الدار يُبَيَّتُونَ من المشركين، فيُصاب من نسائهم وذراريهم، قال: هُم منهم» [البخاري ٣٠١٢].

وعن سمُرة بن جُندب، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من جامَع المشرك وسكن معه فإنه مثله» [أبو داود ٢٧٨٧].

وعن علي، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «المؤمنون تَكافَأُ دماؤهم، وهُم يَدٌ على من سِواهم، يسعى بذمّتهم أدناهم، ألا لا يُقتل مؤمنٌ بكافر، ولا ذو عهدٍ في عهده» [أحمد ٢/٢٨٥].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: «نزل أهل قريظة على حُكم سعد بن معاذ، فأرسَل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد، فأتى على حمار، فلمّا دنا من المسجد، قال -النبي- للأنصار: قوموا إلى سيّدكم -أو خيركم-، فقال: هؤلاء نزلوا على حُكمك. فقال -سعد-: تَقتل مُقاتلتهم، وتَسبي ذراريهم. قال -النبي-: قضيتَ بحُكم الله،

-وربما قال-: بحُكم المَلِك» [البخاري ١١٢/٥]، ووجه الدلالة أنّ الحُكم يشمل النساء والذراري، ولم يكن لهم يد في إبرام هٰذه المعاهَدة ولا في نقضها، وإنّما كانوا تبعًا للسادة والقبيلة والدار، وهٰكذا الفرد يَتْبَعُ القوم.

وعن عمران بن حُصَين، قال: «كانت ثقيف حلفاء لبني عُقَيل، فأَسرتْ ثقيف رجُلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأَسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا من بني عُقيل، وأصابوا معه العَضْبَاء، فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق. قال: يا محمد. فأتاه، فقال: ما شأنك؟ فقال: بم أخذتني، وبم أخذتَ سابقة الحاجّ؟ فقال: إعظامًا لذٰلك، أخذتُك بجريرة حلفائك ثقيف. ثم انصرف عنه، فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد -وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيمًا رقيقًا- فرجع إليه، فقال: ما شأنك؟ قال: إني مسلم. قال: لو قلتَها وأنت تملك أمرك، أفلحتَ كلّ الفلاح. ثم انصرف. فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد. فأتاه، فقال: ما شأنك؟ قال: إني جائع فأطعِمني، وظمآن فأسقِني. قال: هٰذه حاجتك. ففُدي بالرَّجُلين» [مسلم ١٢٦٢/٣]، وفيه أنّ الفرد من القبائل الكافرة يُعامَل معاملة الكافرين، ويُؤخَذ بجريرتهم، وسكوته وبقاؤه في قومه يدلّ على أنّه منهم، فجرى عليه حُكمهم لمّا وقع في الأسر.

وعن ابن عباس، قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم بالرَّوْحَاء، فلقي ركبًا، فسلّم عليهم، فقال: مَن القوم؟ قالوا: المسلمون. قال -الرَّكْبُ-: فمَن أنتم؟ قال: رسول الله. ففزعت امرأة، فأخذتْ بعضُد صبي فأخرجَته من مَحَفَّتِهَا، فقالت: يا رسول الله، هل لهٰذا حج؟ قال: نعم، ولكِ أجر» [أحمد ٤٤٤/٢]، فلمّا انتسَبوا للقوم المسلمين أُلحقوا بهم.

وعن ابن مسعود، مرفوعًا: «من كثّر سواد قوم فهو منهم، ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به» [فتح الباري ج١٣].

وقال الأحنف بن قيس: «إنما كان السبي والغنيمة على الكفار الذين دارهم دار كُفر، والكُفر لهم جامع ولذراريهم» [تاريخ دمشق ٣١٩/٢٤].

فيُنسَب من كان بين قومٍ كفار إلى قومه ظاهرًا، ولو كان مُستخفِ بالإيمان، إلا مَنْ أَظْهَرَ المخالَفة، وفي المقابِل، يُنسَب من كان بين قوم مسلمين في دار إسلام إليهم ظاهرًا، ولو كان مِنَ المُنافقين المُستخفين بالكُفر، المظهِرين للإيمان جُنَّةً، إلا مَنْ أَظْهَرَ مخالَفة دين قومه، قال محمد بن إسحاق: «ارتدّ أهل اليمامة عن الإسلام، غير ثُمَامَة بن أُثَالٍ ومن اتّبعه من قومه، فكان مقيمًا باليمامة ينهاهم عن اتّباع مسيلمة وتصديقه» [الاستيعاب ٢١٦/١].

والظاهر المُعتبَر هو إظهار مخالَفة ما عليه القوم من كُفر وشرك، أو إظهار المفارَقة في الدين، فالقاعدة العامة هنا أنّ دلالة الإسلام بين عموم الكُفر هي دلالة المخالَفة للقوم؛ لأنّ في الحديث: «من تشبّه بقومٍ فهو منهم» [أبو داود ٤٤/٤]، ووجه الدلالة أنّ المخالِف لهم ليس منهم، والموافِق لهم هو منهم، لذٰلك كانت الشعائر ليست معتبَرة؛ لأنها في حُكم الموافَقة، حيث أنّ القوم يأتون بالشعائر وقد فارَقوا الدين من أبوابٍ أخرى، والدليل القَطعي من كتاب الله على أنّ الظاهر المعتبَر في دُور الكُفر أو بين عموم قومٍ مشركين هو إظهار مخالَفة ما عليه القوم من كُفر وشرك: هو الظاهر الذي أتت به القلّة المؤمنة من

الرسل وأتباعهم، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، «نوح وهود وإبراهيم، أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبر هؤلاء، فكانوا ثلاثة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم رابعهم، قال نوح: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٧١]، إلى آخرها، فأظهَر لهم المفارَقة، وقال هود حين قالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]، الآية، فأظهَر لهم المفارَقة، وقال إبراهيم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، إلى آخر الآية، فأظهَر لهم المفارَقة، وقال محمد: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦]، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة يقرؤها على المشركين، فأظهَر لهم المفارَقة» [البيهقي ١٧٧٣٣]، والشاهد أنّ مَن أَظهَرَ المخالَفة والمفارَقة لدين قومه في مثل هذه الديار وبين هؤلاء الأقوام، يُحكم له بالإسلام، أمّا من كان مستخفيًا بدينه فيجري عليه ما يجري على الكثرة؛ لعدم إظهاره للظاهر الذي يتعلّق به الحُكم في هذه الديار.

وبالتالي، الذين يُؤَسْلِمُونَ «مجهول الحال» في ديار الكُفر قد ضلّوا ضلالًا مبينًا؛ حيث أنهم يوسّعون دائرة الجَهالة، ويُحمِّلون مجهول الحال ما لا يَحتمل هذا الاصطلاح عند الفقهاء*، ويُدخلون فيه الكثرة المشركة في هذا الزمان ثم يَختلفون عليها، وغالبًا ما تؤدّيهم أصولهم إلى أَسْلَمَتِهَا، فهؤلاء قد حادوا عن الجادّة، وانحرَفوا عن الأصول الصحيحة، فإنّ الشرع لا يأتي بمثل هذه الجَهالة الواسعة في الكثرة الكاثرة الموجودة في الديار، فأسماء الناس وأحكامهم من أَظْهَرِ مسائل الدين، وفي حقيقة الأمر أنّ هذا المجهول لا وجود له إلا في أذهان هؤلاء التائهين، وهُم أهل الجهل به، وهو من المُخلَّفات والرواسب التي خلَّفها التأصيل الفاسد للديار، حيث أنهم نَظروا نظرًا مجرَّدًا في الأعيان دون الأقوام، فهُم بين معلومٍ حاله تَبَيَّنَ لهم حُكمه، وبين مجهول حالٍ اختلَفوا فيه، وبالضرورة -على هذا النظر-، يكون الانحراف أكبر ممّا يبدو أول وهلة.

وأمّا من نظر إلى القوم ابتداءً فيؤصِّل حُكمهم، لا يَرِدُ عليه مجهول الحال؛ إذ حاله من حال قومه، فهو معلوم الحال في الصورتين -أي: من وافق القوم ظاهرًا فهو معلوم الحال،

* كلام الفقهاء في مجهول الحال، مأخذه الإلحاق والتبعيّة في صور معيّنة -كالميت والمجنون واللقيط-، وهي دلالة ظنية، لذلك يبالِغون في الاحتياط وتغليب حُكم الإسلام، والمسألة كلها مبناها القياس؛ لعدم وجود دلالة ظاهرة أو نصية، قال ابن قدامة: «فصلٌ: وإن وُجد ميت، فلم يُعلم أمسلمٌ هو أم كافرٌ، نُظر إلى العلامات -من الختان، والثياب، والخضاب-، فإن لم يكن عليه علامة، وكان في دار الإسلام، غسِّل، وصلِّي عليه، وإن كان في دار الكُفر، لم يغسَّل، ولم يصلَّ عليه. نص عليه أحمد؛ لأنّ الأصل أنّ من كان في دار، فهو من أهلها، يثبُت له حُكمهم ما لم يَقُمْ على خلافه دليل» [المغني ٢/٤٠٠]، فالأصل المستصحَب عند الفقهاء، أنّ من كان في دار فهو من أهلها، إلا أن يثبُت خلاف هذا الأصل بدلالة ظاهرة أو نصية معتبَرة، فإن ثبتت الدلالة عُمل بها، ولا يُلتفت لغيرها، ولا تغليب لأحد الطرفين، ولا تُقوّىٰ الأصول: كاستصحاب حُكم الدار، أو حديث عائذ بن عمرو المُزني، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الإسلام يعلو ولا يُعلى»، أو الأصل في كل مولود أنه يولَد على الفطرة، وغيرها على مدافَعة الدلالات المعتبَرة.

ومن خالَف القوم ظاهرًا فهو معلوم الحال-، وأمّا من عَكَسَ القضية ونَظَرَ في الأعيان ابتداءً نظرًا مجرَّدًا، فهذا سوف يَرِدُ على أصله مسائل لا يجد لها جوابًا في الشرع؛ لعدم وقوعها في صحيح النظر، فحينئذ تنحرف به المقدّمات إلى أحكام باطلة، فيحكُم فيها بالأهواء ويخبط فيها خَبْطَ عَشْوَاءَ، والله المُستعان.

علم الإملاء وأسماؤه

لغةً:

مصدر للفعل «أَمْلَى يُمْلِي إِمْلَاءً»، كقولنا: «أمليتُ عليك الدرس»، معناه: «تَلَوْتُ الدرس عليك لتكتبه»، ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

اصطلاحًا:

هو العلم بأصول وطريقة كتابة ورسم الحروف العربية بطريقة صحيحة.

أسماء هذا الفن:

كان يسمّى قديمًا: «الكتابة»، و«الخط»، و«الهجاء»، و«تقويم اليد»، و«الرسم»، وهذا الاسم الأخير يطلق في الغالب على رسم المصحف وكتابته... واصطلح المتأخّرون على تسميته بـ«الإملاء»؛ لأن المعلّمين صاروا يمتحنون به طلابهم بتلاوة بعض الجُمل لمعرفتهم مدى إتقان الطلاب لهذا العلم.

أبو عبد الله المدني

أجيبوا داعي الله

إلى التَّائهين المُشتَّتين، إلى مَن ضاقت عليهم فجاج الأرض، إلى مَن غفلت قلوبهم عن الحق، إلى مَن تَركوا نور التَّوحيد وراء ظهورهم واتَّبَعوا أهواء الغافلين الضَّالين، إلى مَن أَضَلَّتهم كثرة دُعاة الخزي والكفر، فاتَّبَعوهم وَوَلَّوا مُدْبرين عن الحقِّ وأهله، إليكم يا مَن دُفِنَت عقولكم في ظلمات الجهل، ندعوكم دعوة مشفقين عليكم، عودوا إلى رُشدكم، هلمُّوا إلى نور الله الذي يُضيء عقولاً شَردت وانحرفَت عن الحقِّ، انجوا بأنفسكم، فلا أحد يغني عنكم مِن الله شيئًا

سراج الطريق

www.seiraj.com

معهد الإمام أحمد

زاد المسلم

www.seiraj.com